مدرسة الشيخ غلام الله بوشملة فضاء للمعرفة والجهاد

Sheikh Ghulam Allah Bushmalah School

A space for knowledge and jihad

بن عمر حمدادو*

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة (الجزائر)

Sidahmedh1976@gmail.com

الملخص:

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2024/02/20
تاريخ القبول: 2024/02/21
تاريخ النشر: 2024/02/26

الكلمات المفتاحية:

- ✓ غلام الله بوشملة
- ✓ المدرسة
- ✓ الاستعمار الفرنسي
- ✓ الشيخ
- ✓ المرید

لعبت المدارس العتيقة دورا كبيرا في مقاومة الاستعمار الفرنسي بكل أشكاله، فكانت تشجع المقاومات والثورات التي كانت تنتفض من حين لآخر ضده، وتساعد بها بكل الوسائل. فإلى جانب الدور الذي كانت تقوم به من تعليم وإطعام الطعام، وإصلاح ذات البين، إلا أنها كانت سندا قويا للثوار المناهضين للاستعمار الفرنسي. ولعل من أهم تلك المدارس مدرسة الشيخ غلام الله بوشملة، والتي عرف صاحبها بالورع وبالصلاح والمحبة والخير. لقد جاءت هذه الدراسة لتجلي بعض الجوانب التاريخية التي كانت غير معروفة لدى الخاص والعام، فقد كانت هذه المدرسة مثالا يحتذى به في مجال التربية الروحية، ونبراسا للأخلاق الفاضلة لدى الشيخ والمرید على حد سواء.

Abstract : (not more than 10 Lines)

Article info

The ancient schools played a major role in resisting French colonialism in all its forms. They encouraged the resistance and revolutions that rose up against it from time to time, and helped them by all means. In addition to the role it played in educating, providing food, and reconciling relationships, it was a strong support for the revolutionaries against French colonialism. Perhaps among the most important of these schools is the school of Sheikh Ghulam Allah Bushmalah, whose owner was known for his piety, righteousness, love, and goodness. This study came to clarify some historical aspects that were unknown to researchers, as this school was an example to be emulated in the field of spiritual education, and a beacon of virtuous deeds among sheikhs and disciples alike.

Received :20/02/2024
Accepted :21/02/2024
date of publication: 26/02/2024

Keywords:

- ✓ Ghulam Allah Bushama
- ✓ the school
- ✓ French colonialism
- ✓ Sheikh
- ✓ disciple

* المؤلف المرسل

مقدمة:

يعد الشيخ سيدي غلام الله بوشملة المؤسس الحقيقي لمدرسة الزاوية، حيث أسس مدرسته خلال أواخر القرن العاشر الهجري فقد عرف بالورع وبالصلاح والمحبة والخير، وكان تأسيس هذه المدرسة على سفح جبل بلدية حمري (دائرة جديوية) نظراً للأهمية الاستراتيجية للمنطقة من جهة، ونظراً لحاجة في نفس الشيخ قد رآها. وقد كان من بيم مهامها:

- زرع تعاليم الدين الإسلامي بين أوساط المجتمع الجزائري.
- إصلاح ذات البين والفصل في الخصومات
- إطعام الطعام وإيواء عابري السبيل.
- تعليم أهالي المنطقة وصبيانها القرآن الكريم إلى جانب مبادئ القراءة.

لقد لعبت هذه المدرسة التي ستصبح فيما بعد زاوية لها صدى واسعاً بين أوساط العلماء والفقهاء، دوراً بارزاً وريادياً في مجال بعث الحياة العلمية من جهة والحياة الروحية من جهة ثانية. وبعد وفاة الشيخ سيدي غلام الله بوشملة خلفه ابنه سيدي عبد الرحمان، ثم توالى عليها الأحفاد شيخاً عن شيخ، إلا أنها لم تبق محافظة على هيئتها وهيئتها التي كانت لها في زمن الشيخ سيدي غلام الله، خصوصاً خلال القرن الحادي والثاني عشر الهجريين. غير أنه مع سنة 1879م وهي السنة التي توفي فيها سيدي عدة بلحاج الذي كان بمدرسة وزاوية الشيخ سيدي غلام الله بوشملة، أخذت مدرسة الزاوية منحنى آخر نحو الأوج، أي إلى سالف عهدها. ومما يمكن الإشارة إليه أن عائلة الشيخ سيدي غلام الله بوشملة تعددت فروعها وتشعبت منها: أولاد سيدي الموهوب، أولاد سيدي العربي. وبهذه المناسبة وقع اجتماع حول مشيخة مدرسة الزاوية، وكان على رأس هذا الاجتماع أو التجمع إن صح التعبير الشيخ سي الهاشمي الملقب "بالمقدم" فوقع الاختيار على الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل من ذرية سيدي غلام الله⁽¹⁾.

نبذة وجيزة عن حياة الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل: نسبه ومولده:

هو محمد الملقب بالمغوفل بن محمد بن قدور بن الطاهر بن سيدي عربي، يتصل نسبه بسيدي سيدي غلام الله بوشملة. فقد كان الشيخ عالماً بعلم القراءات وعلم الفلك، كما له باع وزاد كبير في مجال الروحانيات. له هيبه وجرأة كبيرة على الدين، أصبحت مدرسة الزاوية في عهده كما كانت في عهد سالفه الشيخ سيدي غلام الله بوشملة. مولده:

ولد الشيخ سنة 1854م بزاوية جده، حيث تربى في حجر والده تربية حسنة تقيه ورعة، تحب العلم وتقدره، وتطمح إلى تحقيق الصلاح وتعميمه بين عامة الناس.

حياته العلمية: مما لا شك فيه أن لكل تلميذ أستاذ ولكل قندوز شيخ، وقد نزلت أول آية تحت على طلب العلم وتعلمه مجسدة ذلك في قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم،...." الآية الكريمة⁽²⁾.

تعلم الشيخ المغوفل مبادئ القراءة والكتابة على يد معلم الصبيان في الكتاتيب، كما هي عادة أهل البادية، وعند بلوغه سورة المائدة ورغم صغر سنه، سافر إلى المغرب الأقصى، وأثناء رحلته هاته قاصداً التعليم على أحد شيوخ زوايا ومدارس المغرب الأقصى، واجه صعاباً جمة في طريقه، وهذا حال سفر طالب العلم. إلى أن وصل بلاد الريف بالمغرب المعروفة بلهجاتها المختلفة "الشلحة" وبالضبط عند زاوية الشيخ سيدي بوزيان المغربي. حيث تعلم على يديه القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، ثم القراءات السبع، ومبادئ الفقه وعلم الفلك.

إلى جانب أخذ الطريقة الشاذلية عليه. ليرجع بعدها إلى وطنه بإذن شيخه سيدي بوزيان المغربي، هذا الأخير الذي أمره بزيارة كل زوايا منطقة توات بولاية أدرار، وزاوية الهامل ببوسعادة، ليختتم رحلته بزيارة زاوية الشيخ بن عطية الحراثي (قرب وادي الجمعة)⁽⁴⁾.
تدريسه:

بدأ الشيخ محمد بطاهر المغوفل تدريسه بتعليم أولاد سي لكحل العريبي البوعبدلي (ما بين وادي أرهيو وواريزان مدة، ثم انتقل بعدها إلى بلدة مازونة⁽⁵⁾) حيث كان يحضر مجالس الفقه (سيدي خليل)، عند الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى جانب تحفيظه للقرآن الكريم لبعض تلاميذ المنطقة منهم: الشيخ الصادق بلحميسي (ت 1936)، بمسجد سيدي خالد. ونظرا لتوسم أهل الخير والورع والصلاح من أهالي البلدة، وأنه من ذرية سيدي غلام الله بوشملة، زوجته بابنة سيدي خالد، وأنجب عقبا منهم: سيد أحمد، سيدي الحبيب، وغيرهم...
وفي حدود 1880م انتقل الشيخ محمد بن طاهر المغوفل إلى زاوية أجداده سيدي غلام الله بوشملة، حيث فكر في النهوض بمدرسة الزاوية والقيام بها أحسن قيام، ومحاولة منه ارجاعها إلى سالف ما كانت عليه من العلم والصلاح، فبنى بيوتا لحفظ كتاب الله العزيز الحكيم، كما بنى بيتا خاصا لتدريس مصنّف فقه سيد خليل على مذهب الإمام مالك، وجلب له الشيخ سيدي محمد بن بو عبد الله المازوني الذي توفي بالمدرسة ودفن بها، وقبره لا زال معروفا لدى أبناء الزاوية ولدى الخاص والعام من أبناء المنطقة⁽³⁾.

تلاميذ الشيخ سيدي بطاهر المغوفل:

- الشيخ العلامة الشيخ سيدي محمد بوخاتم.
- أخوه العلامة الشيخ سيدي محمد بوخاتم.
- العلامة الشيخ سيدي الحاج عيسى البوعبدلي.
- الفقيه الشيخ سيدي الحاج عبد القادر المداحي.
- وأخيه الشيخ سي الحاج الطاهر.
- الفقيه العلامة الشيخ سي المولاي بن زقنون العكرومي.
- الشيخ سي الحاج عابد شراك.
- الشيخ سي أحمد بن حمو البوعبدلي.
- الشيخ سي الحاج قديدر الحراثي.
- الشيخ سي مولاي أحمد الحراثي.
- الشيخ عبد القادر شراك.

وهناك الآلاف من الطلبة الذين تخرجوا من هذه الزاوية ومنهم الشيخ وزير الشؤون الدينية والأوقاف أبو عبد الله غلام الله الذي درس بها حيناً من الدهر حفظ القرآن الكريم بها.

الإشعاع العلمي والمعرفي لمدرسة الزاوية:

إن ذبوع صيت هذه المدرسة وذكرها في الآفاق ومناقستها لسابقتها كأمثال: مدرسة زاوية مازونة الفقهية، مدرسة زاوية الهامل ببوسعادة، مدرسة زاوية سيدي عدة بن غلام الله بتيارت، وغيرها كثير... حيث كان الغرب الجزائري، يكتظ بهذه المدارس عبر سنين وسنين، فقد كانت الراشدية على سبيل المثال تلقب بكعبة العلماء يحجون إليها من كل حذب وصوب، وكانت تمنح للطلبة المتفوقين إجازات علمية معترف بها على الصعيد المحلي وعلى الصعيد العربي الإسلامي.

لقد كان عدد الطلبة بهذه المدرسة يبلغ 110 طالب علم، خصوصا في عهد الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل، ونظرا لمكانة الشيخ وورعه وصلاحه، فكر عدد من علماء وفقهاء بلدة مازونة زيارة الشيخ سيدي

محمد بطاهر المغوفل، والذهاب إليه جموعا وحددوا لذلك يوما لملاقاته، ومن هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الكبير المازوني (ت 1911م).
- ابنه الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الصغير المازوني (ت 1949م).
- الشيخ سيدي الحاج أحمد بن سيدنا عدة بن غلام الله.
- الشيخ سيدي محمد بللوش.

وغيرهم كثير، وقد كان رد الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل رائعا ويعجز عنه كل لسان، حيث أمر طلبته بملاقاتهم بقصيدة البردة، فقد كان يوما مشهودا وكبرا⁽⁶⁾.

الإطعام والإيواء بمدرسة الزاوية:

إن مدرسة زاوية الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل كباقي مدارس الزوايا الجزائرية المنتشرة عبر نواحي جهات القطر الجزائري، من بين مهامها إطعام وإيواء طلبة العلم والمعرفة والمسافرين وعابري السبيل. وهناك نقطة جوهرية يمكننا الإشارة إليها وهي أن هؤلاء الطلبة كانوا يأكلون في الليل عند الشيخ، أما في النهار فكانوا يأكلون عن طريق "الرتايب" (وهو كل ما يجمعونه من خبز ونحوه من أهالي البلدة). وقد داومت مدرسة الزاوية على هذا النحو إلى غاية 1924م، وهي السنة التي توفي فيها الشيخ سيدي محمد بطاهر المغوفل، ليتولى خدمة المدرسة من أكل وشرب وهذا لكثرة عدد الطلبة بالمدرسة، حيث جلب لها شيخ معروف لدى أهالي البلدة هو "الشيخ سي المبلود الزردالي" الذي كان أحد تلاميذ والدهم، ليدرسه القرآن الكريم بالإضافة إلى سلك ألواح الطلبة وتكثيهم، كما هي عادة طلبة وحفاظ القرآن الكريم بالكتاتيب.

وقد فصل في هذا النزاع الشيخ الكبير الهمام أبي عبد الله البوعبدلي الرزيوي، حيث قال: "الحمد لله الذي جعلكم تتخاصمان وتتسابقان على الخير وعلى أمور الآخرة، لا على الدنيا وهذا ميراث والدكما". فجعل أسبوعا للشيخ سي أحمد وأسبوعا للشيخ سي الحبيب، وهي الطريقة التي بقيت متبعة إلى يومنا هذا. لقد بقيت مدرسة الزاوية على هذه الطريقة إلى أن توفي الشيخ سي الحبيب، وبقيت زوجته وأولاده على طريقة والدهم، وبعد وفاة الشيخ سي أحمد، بقي أولاده محافظين على نفس طريقة عمهم.

الدور الجهادي والثوري للمدرسة:

إن مدرسة زاوية سيدي غلام الله بوشملة كسابقاتها من المدارس القرآنية والدينية المنتشرة بالقطر الجزائري التي كان لها باع كبير إبان الثورة التحريرية الكبرى. لقد كانت بحق أهم وأخطر مركز استراتيجي لدى قادة الثورة والمجاهدين "الفلاحة"، فمنها ينطلقون وإليها يعودون. لقد كانت هذه المدرسة أيام أحلك الفترة الاستعمارية مركزا هاما يزود المجاهدين بالأكل والشرب وخدمتهم أيما خدمة.

وهنا تبرز فطنة وحنكة الشيخ سيدي بطاهر المغوفل في مساهمته الفعالة اتجاه الثورة التحريرية الكبرى، فقد كان يأمر المجاهدين بالمبيت مع طلبة المدرسة حتى لا يحس الاستعمار الفرنسي بوجودهم. إلى جانب الولايم الموسمية التي كان يشغلها قادة الثورة خصوصا والمجاهدين عموما للتخطيط لبعض العمليات المستهدفة ضد الاستعمار الفرنسي.

ونظرا للدور الفعال والخطير في الوقت نفسه فقد كانت هذه المدرسة متابعة ومراقبة من طرف البوليس الفرنسي، وعلى إثرها سجن الشيخ سيدي عدة بن الشيخ سي أحمد عام 1957م.

وفي حدود سنة 1958م وقع اشتباك بين العدو الفرنسي والمجاهدين الذين كانوا بداخل مدرسة الزاوية حيث خرجوا منها بسبب بعض الوشايا. ومما يلفت للانتباه أن الزاوية أخذت تفقد مكانتها وهيبتها عبر مرور الزمن، حيث أصبح عدد الطلبة يقل شيئا فشيئا. ولم يبق بالمدرسة سوى أبناء المدرسة وعمهم الشيخ سي أحمد.

وبعد عام 1962م بدأ الشيخ سي أحمد بن المغوفل يحاول قدر المستطاع جمع ولم شمل ما يمكن لمة وجمعه من طلبة القرآن الكريم حتى تسنى له ذلك. وعين من أولاده أخيه الشيخ سي جلول، وكذلك ابنه الشيخ سي الحاج محمد بن الشيخ سي أحمد الذي عين إماما عام 1974م.

وقد أصبحت تقام في هذه المدرسة الجمعة وبعض الدروس في الفقه والنحو وغير ذلك من العلوم الشرعية والأدبية مدة سنتين أو ثلاثة سنوات بالتقريب. بعدها انتقل الشيخ إلى مدينة مستغانم أين حط رحاله بها، وبطلت الجمعة مدرسة الزاوية نظرا لبعده المسافة وكبر الشيخ.

وفي حدود عام 04 فبراير من عام 1992م توفي الشيخ سيدي عدة بن الشيخ سي أحمد، لتنتقل مشيخة مدرسة الزاوية إلى سي الطاهر بن سي الحبيب، متصرفا في أمورها إلى يومنا هذا. ورغم الصعوبات التي واجهتها الزاوية من بُعد المسافة على القرى والمداشر، ونظرا للخوف الذي كان يجوب ويصول المنطقة أيام العشرية السوداء أو ما تسمى بسنين الجمر، ورغم قلة المؤونة للطلبة إلا أن مدرسة الزاوية لا زالت تعطي ثمارها وأكلها والله الحمد والمنة. وهو الدور الذي لعبته كل زوايا القطر الجزائري مثل: زاوية سيدي عدة بن غلام الله.

4. خاتمة:

لقد لعبت مدرسة الشيخ سيدي غلام الله بوشملة دورا رياديا علميا وجهاديا، في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وبعث الروح الوطنية في صفوف طلبة المدرسة وأتباعها ومريديها، وهذا مرده إلى الشيخ المؤسس لهذه المدرسة الشيخ سيدي غلام الله بوشملة، الورع الزاهد والمتعبد. إلى جانب أنها كانت ملاذا للعديد من طلاب العلم لحفظ كتاب الله عز وجل ودراسة العلم الشرعي.

5. قائمة المراجع:

- وثائق تاريخية عبارة عن مراسلات بين الشيخ غلام الله بوشملة وأولاد زاوية الشيخ سيدي عدة بن غلام الله
- *Hevre Bleu chot(1996) : les institutions traditionnelles dans le monde arabe. Paris. Edition Kharata.*
- *Moulay Belhamissi (1982): Histoire de Mazouna. Edition sned.*
- *Bousquet(1947):promenade sociologique une medressa. Dechue, Revue Africaine. pp :412-413*
- الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط رسالة الكراس، الخزنة العداوية. تيارت
- الشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مخطوط الرسائل لأهل الوسائل، الخزنة العداوية. تيارت
- حمدادو بن عمر (2015) الحضور الصوفي... والمعرفة الروحية: كتاب خاتمة الرسائل لأهل الوسائل للشيخ سيدي عدة بن غلام الله، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، م4، ع5، صص: 179-196.
- حمدادو بن عمر (2008) محمد أبو عبد الله المغوفل (828-923هـ) والتعريف بتأليفه فلك الكواكب وسلم الرقيا إلى المراتب، المجلة الجزائرية للمخطوطات، م4، ع5، صص: 102-109.